

مقدمة :

ميز الفلاسفة الانسان عن الحيوان بالعقل . واهتم بعض المفكرين بملكة أخرى ، هي القدرة على الاتصال بواسطة الرموز . فالانسان لا يستجيب لبيئته الواقعية وحدها ، وانما - أيضا - لبيئة رمزية من صنعه . الكلب يستجيب للطعام ، والانسان يستجيب له بنفس الطريقة . . . إضافة الى استجابات أشد تعقيدا تتوقف على اعتبارات رمزية . فقد يتجنب بعض أنواع الطعام خوفا من غضب الآلهة ، كما حرم الفراعنة أكل لحم الخنزير . ويتناول أطعمة أخرى لقدرتها على شفاء أمراض معينة . وهناك بعض الأطعمة مثل « الكافيار » يتناولها - أساسا - من أجل الاحساس بالمركز الاجتماعي الأعلى .

وغالبية المخلوقات تعيش عموما في بيئات مادية . فهي تستقبل المثيرات وتستجيب لها . أما الاحساس بالماضي أو المستقبل فقليل أو معدوم . . . ويقدركنا كينيث بولدنغ بأن الكلب ليس لديه فكرة شعورية عن وجود كلاب قبله أو بعده . . . وحين أبدع الانسان عالما رمزيا أسبغ على الواقع بعدا لا يعرفه غير البشر . وهذا الانجاز الهائل أخرجه من الوجود المادى المجرد ، ووضع في وجود رمزي من اللغة والفن والأسطورة . فبدلا من التعامل باستمرار مع الأشياء نفسها . . . طور أفكارا عن هذه الأشياء ، وهو يخلق نفسه بخلاف من الأشكال اللغوية والصور الفنية والرموز الأسطورية والطقوس الدينية ، لدرجة أنه لا يستطيع أن يرى شيئا أو يعرفه الا من خلال نظامه الرمزي . وكما قال أيبكيتيوس : « ان ما يقلق الانسان ويخيفه ليست الأشياء ، وانما آراؤه وتخیلاته عن الأشياء » .

استغل الاعلاميون هذا العالم الصوري للتأثير على الانسان عن طريق الاعلام والاعلان : أما المبدعون الذين ينشئون العالم الصوري منذ صناع الأسطورة حتى اليوم . . . فيبحثون عن الحقيقة . والحقيقة الشعرية ليست فردية أو محلية بل عامة وفعالة . وهي ليست حقيقة يمكن اثباتها مثل الحقائق العلمية . ونحن نحكم عليها - كما يقول سيسيل دي لويس - لأنها فعالة . فهي تعمل على ادخال نوع من أنواع المتعة الى النفوس . . .